﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مطلعُ السّورة إجابةٌ عن سؤالٍ، وتعقيبٌ على حُكْمٍ

منَ المعلوم أنَّ سورةَ التَّوبة الَّتي سَبَقَتْ سورةَ يونس قد خُتمت بقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة: 128]، وفي هذا تنبيهٌ للعَرَب عامَّةً، ولقريشٍ خاصَّةً إلى الحقوق الإنسانيَّةِ الواجبةِ عليهم نحوَ رسولِ الله ﷺ المبعوثِ إليهم من بينِهم، ومن ذوي قرابتِهم.

وسورةُ يونس، جاء ابتداؤها مُنكِرًا على قريشٍ وعلى العَرب تَنكُّرَهم لهذا الرَّسول، ووقوفَهم منه مَوقفَ المشاقَّة والعِناد، مع ما بين يديه من آيات ربِّه، الَّتي تشهدُ بأنَّه رسولُ ربِّ العالمين.

فناسَب لذلك أن تجيء سورةُ يونس، بعد سورة التَّوبة، إذْ كانت خاتمةُ التَّوبة أشبَهَ بسؤال، وكان بَدْءُ يونس أشبَهَ بجوابٍ لهذا السُّؤال، أو كانت خاتمةُ التَّوبة تقريرًا لحُكمٍ، وكان بَدءُ يونس تعقيبًا على هذا الحُكم[1].

وإنّه جلَّ شأنُه لَمّا أمرَ في آخِر التّوبة بقتال العادين من الكفّار بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ الآيات [التَّوبة: 123 - 124] بيّن في سورة يونس أسانيدَ أهلِ الكفر الّذين أمرَ الله بقتالهم، وبيّن شُبهاتِهم، ولا سيّما ما كان منها حول الوحي والقرآن، فبدأتِ السّورةُ الكريمة بالأحرف المُقطّعةِ والحديثِ عن آيات الكتاب: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: 1]، ولمّا ختم التّوبةَ بقوله عن النّبيّ ﷺ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/929.

رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: 128 - 129] نعَى على الكافرين استهجانَهم أن يأتيَهم رسولٌ من أنفسِهم يدعوهم لدين الله فقال تعالى في مطلع يونس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: 2].

وأيضًا فإنّه كما خُتمتِ التّوبةُ بوصيّة النّبيّ ﷺ بالتّوكُّل على ربّه، ناسب أن تُختم سورةُ يونس بوصيّة النّبيّ ﷺ بالاتّباع والصّبر بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: 109] أكملتِ الوصيّةَ الأولى في آخر التّوبة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

آيـاتُ الكـتـابِ مبيَّنةٌ، مفصّلةٌ، مُحكَمةٌ، مُتقَنةٌ

يُريد هذه الآياتِ الَّتي أُنزلت على محمد ﷺ آياتِ الكتاب الحَكيم، يعني: القرآنَ المُحكم منَ الباطل، الممنوعَ منَ الفساد، لا كذبَ فيه ولا اختلافَ، فهي آياتُ الكتاب الحكيم بيانًا، وتفصيلًا، وإحكامًا، وإتقانًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فنُّ الاتّساعِ، وبراعةُ الافتتاح بالحروف المُقطَّعةِ:

اشتمالُ حروف فواتحِ السّوَرِ على العديدِ منَ المعاني بأوجزِ بيانٍ

﴿الٓرۚ﴾ هذه حُروفٌ مُرَكَّبَةٌ في الرَّسْم بِشَكْلِ كلمةٍ ذاتِ ثَلاثةِ أحْرُفٍ، ولَكِنَّها تُقْرَأُ بِأسْماءِ هذه الأحْرُفِ ساكِنَةً هَكَذا: ألِفْ، لام، را؛ فهي بِمَنْزِلَةِ الأعْدادِ المَسرودَةِ، وفيها أوجزَ البيانُ القرآنيُّ العِبارةَ للوصولِ إلى أكثرَ من معنىً مع مُراعاة حُسن جَرْس هذه المعاني لدَى السّامع، من خلال ارتباطِها في سياق واحدٍ؛ والقَصدُ إلى تَنْبيه الَّذينَ تُتْلَى عليهمُ السُّورَةُ لِما بعدَها لِأجْلِ العِنايَةِ بِفَهْمِهِ

(1) الواحديّ: التّفسير الوسيط: 2/538. (بتصرّف).

حَتَّى لا يَفوتَهُم مِنْ سَماعِهِ شَيْءٌ، فهي كأداةِ الافْتِتاحِ[1] (ألا)، و (هاءِ) في تَحْريرِ مقصد التَّنْبيهِ أوِ التّحدّي، بَلْ هي أقْوَى منهما في هذا التَّنْبيهِ.

عِلَّةُ إيثارِ اسْمِ الإشارة ﴿تِلْكَ﴾:

آيـاتُ الـقـرآن عـاليـةُ المـنـزلةِ فـخـامـةً، ومكانةً، وثُقلَ ميزانٍ

عبّرَ باسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ الدّالِّ على معنى البُعدِ والارتفاعِ فقال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ؛ للتَّنبيه على بُعد منزلتها في الفخامةِ، وعُلوِّ مقامِه، وأيُّ مقامٍ يُقاربُ كتابَ اللّه تعالى؟! فهو عليٌّ في ذاته، ثقيلٌ في ميزانه، فاجتمع الاعتبارُ على أنَّ تلك الحُروفَ المُفْتَتَحَ بها السُّوَرُ وإنْ قَرُبَتْ ألْفاظُها، فَمَعانيها بَعيدةُ المَنالِ، وقد شاعَ في الكلامِ البَليغِ تَمثيلُ الأمرِ الشَّريفِ بالشَّيْءِ المرفوعِ في عِزَّةِ المَنالِ؛ لأنَّ الشَّيْءَ النَّفيسَ عَزيزٌ على أهْلِه، فَمِنَ العادَةِ أنْ يَجْعَلوهُ في المرتَفَعاتِ؛ صَوْنًا لَهُ عَنِ الدُّروسِ وتَناوُلِ كَثْرَةِ الأيْدي والابْتِذالِ[2].

في الإشـارةِ حثٌّ عـلى الـنَّـظـرِ في آيـات الـقـرآنِ وتدبُّرِها

آلَ البيانُ إلى أنَّ المَقْصودَ مِنَ الإشارَةِ إما الحَثُّ عَلَى النَّظَرِ في آياتِ القُرْآنِ؛ ليَتَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُ مِنْ عند اللّه ويَعْلَموا صِدْقَ مَنْ جاءهُم بِهِ. وإما إقناعُهُم مِنَ الآياتِ الدالَّةِ على صِدْقِ النَّبي ﷺ بآياتِ الكِتابِ الحَكيم، فإنَّهُم يَسْألونَ النَّبيَّ آيَةً على صِدْقِه، فَقيلَ لَهُم: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكيم، أيْ ما هو آيَةٌ واحِدَةٌ بَلْ آياتٌ كَثيرَةٌ؛ فَإنَّ الإعْجازَ حاصلٌ بكُلِّ سورَةٍ مِنْهُ[3].

نُكتَةُ تعريفِ الآياتِ بالإضافةِ:

أظـهـرَ عـجـزَ المـشـركـين عـن الإتـيـان بـمـثـلِ بعضِ القرآنِ

إضافَةُ الآيات إلى الكِتابِ في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إضافَةٌ شَبيهَةٌ بالبَيانيَّةِ، وإنْ كانَ الكِتابُ بِمَنْزِلَةِ الظَّرْفِ لِلْآياتِ باخْتِلافِ الاعْتِبارِ، وهو مَعْنَى الإضافَةِ البَيانيَّةِ[4].

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/118.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/222، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/99.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/81.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/81.

والمَقْصودُ بأنَّ آياتِ الكِتابِ الحَكيمِ كُلَّها بجميعِ تَراكيبِها مِنْ جِنْسِ حُروفِ كلامِ العربِ في أزمنةِ الخطابِ؛ تسجيلًا لعَجْزِهم عنْ مُعارَضَتِها بِمِثْلِها، فلوْلا أنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَكانَ اخْتِصاصُهُ بهذا النَّظْمِ المُعْجِزِ دونَ كلامِهم مُحالًا، إذْ هو مُرَكَّبٌ مِنْ حُروفِ كلامِهم؛ فكانتِ الآياتُ مَسوقَةً مَساقَ التَّهَجِّي لإظْهارِ عَجْزِ المُشْرِكينَ عنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ بعضِ القُرْآنِ[1].

فائدةُ جَمعِ الآياتِ جمعَ مؤنّثٍ سالماً:

كانتِ النّفوسُ مُتشوّفةً إلى إنزالِ آياتِ الكتابِ كلِّها

جُمعتِ الآياتُ - على هذا الوزانِ، دون أن يقولَ: (آيُ) - لمعانٍ مخصوصةٍ، يُفيدها السِّياقُ، ويقتضيها المقامُ، ومن ذلك:

أنَّ الخطابَ أحالَ على آياتِ الكتابِ كلِّها؛ وإن لم يُنزَّلِ الكلُّ حينئذٍ؛ إذ كانت بصددِ الإنزالِ، تَشَوُّفًا إلى تحقيقِ وعْدِ اللهِ تعالى بإنزالِها جميعًا يومَ الميثاقِ أنْ أوحيَ إليه ﷺ الكتابُ[2]. والشّاهدُ في قولِه ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ [المزمل: 5].

مُناهضةُ عُمومِ الخُصومِ بالآياتِ القواطعِ

تَسْجيلُ التَّحَدِّي بمُعارَضةِ الخُصومِ لآياتِ الكتابِ الحَكيمِ كُلِّها؛ بدلالةِ إفادتِها العمومَ إضافةً وجمعًا[3].

نَوعُ (أل) في الكتاب:

المقصودُ القرآنُ، أوِ الكتابُ المكنونُ وهو اللّوحُ المحفوظُ، أوِ الكتبُ المُتقدّمةُ

التَّعريفُ في الكتابِ في قولِه: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لِلْعَهْدِ، فالكتابُ يُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المُرادُ مِنْهُ هو القُرْآنُ؛ والقرينةُ أنَّ "الحَكيمِ" مِنْ نَعْتِ القُرْآنِ[4].

ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المُرادُ مِنْهُ الكِتابَ المَكْنونَ عِنْدَ اللهِ تَعالَى، المَصونَ والمستورَ عن أعينِ الخَلْقِ، وهو اللوحُ المحفوظُ الَّذي مِنْهُ نُسِخَ كُلُّ كِتابٍ،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3507.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/102.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/82.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/82.

كما قالَ تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقِعة: 77-78] وقالَ تعالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البُروج: 21-22] وقالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: 4] وقالَ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: 39][1].

أو أنْ يُرادَ به الإشارَةَ إلى الكُتُبِ المتَقدِّمةِ مِنَ التَّوراةِ والإنجيلِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ؛ فيكونُ المَعْنى: هذه الأقاصيصُ الَّتي تَسْمَعونَها، تلك الآياتُ الَّتي وُصِفَتْ في التَّوْراةِ والإنجيل[2]. والرأيُ الأوَّل أرجحُ بأَمارةِ الوصْفِ بالحكيم هنا وفي غيره مِنَ المواضع[3]، ثمَّ إنَّ التّوراة والإنجيل لم يَجْرِ لهما ذِكرٌ قريبٌ حتى يُشارَ إليهما[4].

القرآنُ كتابٌ كاملٌ جامعٌ مُنزَّهٌ مِنَ النَّقْص

أو قَد يُساقُ التَّعْريفُ للدّلالةِ عَلَى معنى الكمالِ في الجِنْسِ، أي الجديرُ بأنْ يُسمَّى كتابًا؛ كَما تَقولُ: أنْتَ الرَّجُلُ؛ أي الكاملُ في الرُّجوليَّةِ، الجامعُ لِما يكونُ في الرِّجالِ مِنْ مُرْضياتِ الخِصالِ[5].

سِرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾:

ناسَبَ المُفْتَتَحُ معنى جمعِ الحروفِ والكلماتِ الأخرَى

الكتاب فِعالٌ بِمَعْنَى المَكْتوبِ، إما مَصدرُ كاتَبَ المَصوغُ لِلْمُبالَغَةِ في الكِتابَةِ، فَإنَّ المَصْدَرَ يَجيءُ بِمَعْنَى المَفْعولِ كالخَلْقِ، وإما فِعالٌ بِمَعْنَى مَفْعولٍ كَلِباسٍ بِمَعْنَى مَلْبوسٍ وعِمادٍ بِمَعْنَى مَعْمودٍ بِهِ[6]. وقد سُمِّيَ القرآنُ العظيم بالكتاب؛ لأنه يجمع كلمةً إلى أخرى، ويجمعُ السّورَ والآياتِ بين دفّتَيْه، ومن هنا ناسبَ هذا المعنى مُفتَتَحَ السّورة بالحروف المُقطّعةِ.

وفي تَسْميَةِ القُرْآنِ بالكتابِ إشاراتٌ

منها: القَصْدُ إلى وُجوبِ كِتابَتِهِ لِحِفْظِهِ، ومنها أنَّ اشْتِقاقَه مِنْ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/84.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير: 2/314 - 315.
(3) كما في: آل عمران: 58، ولقمان: 2، ويس: 2.
(4) الخازن، لُباب التَّأويل: 3/172.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/82.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/221.

(كتب) بِمَعْنَى: جَمَعَ وضَمَّ؛ فَسُمِّيَ الكِتابُ كِتابًا، وكَتَبْتُ الشَّيْءَ إذا جَمَعْتَهُ[1] وسُمِّيَتِ الكَتيبَةُ لِاجْتِماعِها أو لِأنَّه كالكَتيبَةِ على عَساكِرِ الشُّبُهاتِ، أوْ باعتبارِ ما اجْتَمَعَ فيهِ من جَميعِ العُلومِ، أوْ لِأنَّ اللهَ تَعالَى أَلْزَمَ فيهِ التَّكاليفَ على الخَلْقِ[2]، فجَمعت معانيه وأحكامُه كلَّ خيرٍ لصلاحِ أمرِ الدّنيا والآخرةِ.

وجهُ إيثارِ الوصْفِ بـ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾:

الحكيمُ مَظنّةُ الإتقانِ، والحكمةِ، والهيمنةِ على الكتُبِ الأخرى

سيق قيدُ الحكيم ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في قوله: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ للدّلالة على وفرةٍ في المعاني من حيث تقليبُ الصّيغِ، ومن تلك المعاني:

الدَّلالةُ على الإتقان: فهو المُحْكَمُ بفتح الكاف، على "مُفْعَل"، أي: متقَنٌ لا خللَ فيه.

والدَّلالةُ على الهيمنة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] و(المُحَكِمُ): الحاكمُ على الكتب كلِّها، والحاكمُ بالحلال والحرام.

والدَّلالةُ على الحِكمة: فهو المُشتَمِلُ على الحِكَم - بكسر الحاء وفتحِ الكاف - والمُتَعَلِّقُ بها في جميع التّكليفات والشّرائع. وفي أصله قيل هو مَأْخوذٌ من الإحْكامِ والإلْزام، أو هو مَأْخوذٌ مِنْ حكمَةِ اللِّجامِ، لِأنَّها تَضْبِطُ الدابَّةَ، والحِكْمَةُ تَمنَعُ مِنَ السَّفَهِ[3].

والحكمةُ: وضعُ الأشياء في مواضعِها اللائقةِ، أو علمِ الأشياءِ على ما هي عليه، وقيل: إصابة الحقِّ بالعلم والعمل[4].

الحكيمُ بمعنى ذو الحكمةِ، والمُحْكِمُ، والحاكمُ، والمحكومُ فيه

ومعنى (الحكيم)، في هذا الموضع: (ذو الحكمة)؛ فهو على

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/221.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/260.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.
(4) القطّان، تيسير التَّفسير: 1/161.

النَّسب، وكذلك: (المُحْكَم). والعَرَبُ قد تَضَعُ فَعيلًا في مَعْنى مُفْعِلٍ؛ قالَ اللّه تَعالى: ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 18] أيْ: مُعَدٌّ.

فالحكيمُ: المُحْكَمُ بالحَلالِ والحَرام والحُدودِ والأحْكام، قاله أبو عُبَيْدَةَ وغَيْرُهُ. والحَكيمُ بِمَعْنَى الحاكِم، أيْ إنَّهُ حاكِمٌ بالحَلالِ والحَرام، وحاكِمٌ بَيْنَ النّاسِ بالحَقِّ، فَعيلٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ، دَليلُهُ قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: 213][1]. والحكيمُ بمعنى المحكوم فيهِ، أي حكم اللّه فيهِ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى، وحكم فيهِ بالنّهي عنِ الفحشاءِ والمُنكرِ، وبالجنّةِ لِمن أطاعهُ وبالنّارِ لِمن عصاهُ، فهو فعيل بمعنى المفعولِ، قالهُ الحسنُ وغيرُهُ. وقال مُقاتِل: الحكيمُ بمعنى المُحكم مِن الباطِلِ لا كذب فيهِ ولا اختلاف، فعيل بمعنى مُفعل، كقولِ الأعشى يذكُرُ قصيدتهُ الّتي قالها:

وغَريبَةٍ تَأْتي المُلوكَ حَكيمَةٍ *** قد قُلْتُها ليُقالَ مَنْ ذا قالها[2]

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القرآنُ والكتابُ:

تنحصرُ دلالةُ القرآنِ في مُسمَّى الجمعِ والضَّمِّ والتِّلاوةِ

مِن أسماءِ القُرآنِ: الكِتابُ، وهو مصدر كالقيامِ والصِّيامِ، وقيل: فِعال بمعنى مفعول كاللِّباسِ بمعنى الملبوسِ باعتبار ما اجتمع فيهِ من جميعِ العُلوم، واتّفقوا على أنّ المُراد من الكتاب: القرآنُ[3] وفي اشتقاق لفظِ (قرآن) عدّةُ أقوالٍ، أشهرُها اثنان:

أحدُهما: أنّ القُرآن والقِراءة واحِد، كالخُسرانِ والخسارةِ واحِد، والدّليلُ عليهِ، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18]، أي: تِلاوتهُ، أي: إذا تلوناهُ عليك فاتّبِع تِلاوتهُ[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/82.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/305.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/260.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.

الثاني: أنّهُ مصدر بمعنى الجمع، من قولِ القائلِ: قرأتُ الماء في الحوضِ إذا جمعتُهُ، وسُمِّي القُرآنُ قُرآنًا؛ لأنّ الحُروف جُمِعت فصارت كلِماتٍ، والكلِماتُ جُمِعت فصارت آياتٍ، والآياتُ جُمِعت فصارت سورًا، والسُّورُ جُمِعت فصارت قُرآنًا، ثُمّ جُمِع فيهِ عُلومُ الأوّلين والآخرين. فالحاصِلُ أنّ اشتِقاق لفظِ (القُرآنِ) إما من التِّلاوةِ أو من الجمع[1].

القرآنُ والذِّكرُ:

الاشتراكُ في تذكيرِ العِبادِ بمُقتضى ما أَمَرَ اللهُ ونَهَى

من أسماء القرآن: الذِّكرُ، ومن معانيه: التَّذكرةُ، والذِّكرى؛ أمّا الذِّكرُ فقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ [الأنبياء: 50]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [الحجر: 9]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزُّخرُف: 44]. وفيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أنّهُ ذِكر من اللهِ تعالى ذكّر بِهِ عِبادهُ فعرّفهُم تكاليفهُ وأوامِره.

والثّاني: أنّهُ ذِكر وشرف وفخر لِمن آمن بِهِ، وأنّهُ شرف لمحمّدٍ ﷺ، وأُمّتِه. وأمّا التّذكِرةُ فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ [الحاقّة: 48]. وأما الذِّكْرَى - على قول قَتادة السَّدوسيِّ - فقوله تَعالَى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذّاريات: 55][2].

القرآنُ والتَّنْزيلُ:

تَسميةُ القرآنِ بالتَّنْزيلِ باعتبارِ النُّزولِ

وسُمِّي القرآن تنْزيلًا؛ لأنّه مُنزَّلٌ من عند اللهِ تعالى على لسان جبريل عليه السلام، ولأنَّ اللهَ تعالى أسمعَ جبريلَ كلامَه وفهَّمه إياه، كما شاء من غير وصْفٍ ولا كيفيةٍ، نزل به على نبيِّه ﷺ، فأدّاه هو كما فهمه وعَلِمه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشُّعَراء: 192 - 193].

والهاء في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ كنايةٌ عنِ الذِّكر الَّذي في قوله تعالى:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.

(2) الماورديّ، النُّكت والعيون: 5/374، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الشُّعراء: 5]، والمعنَى: وإنَّ القُرْآنَ لَتَنْزيلُ رَبِّ العالَمينَ نَزَلَ بِهِ جِبْريلُ إلَيْكَ[1].

القرآنُ والحَديثُ:

وصْـفُ الـقـرآن بالحديثِ باعتبارِ مـا تـقـدَّمَـه مـنَ الكتبِ المُنْزَلةِ أو بما يُـحـدَّثُ به منه

ومن أوصاف القرآن: الحَديثُ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ [الزُّمَر: 23] سَماهُ حَديثًا؛ لِأنَّ وُصولَهُ إلَيْكَ حَديثٌ، أي: حَديثُ التَّنْزيلِ بَعْدَما تَقَدَّمَهُ منَ الكُتبِ المُنَزَّلَةِ على مَن تَقَدَّمَ منَ الأنْبياءِ، ولأنَّهُ تَعالَى شَبَّهَهُ بما يُتَحَدَّثُ بِهِ، فَإنَّ اللهَ خاطَبَ به المُكلَّفين[2]؛ إذِ الحَديثُ ما يُحَدِّثُ بِهِ المُحَدِّثُ، وسُمِّيَ القُرْآنُ حَديثًا؛ لِأنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كان يُحدِّث به أصْحابَهُ وقَوْمَهُ، وهو كَقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ [المُرسَلات: 50]، وقوله: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩﴾ [النجم 59]، وقوله: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ [القلم: 44][3].

قالَ القُشَيْريُّ: وتَوَهَّمَ قَوْمٌ أنَّ الحَديثَ منَ الحُدوثِ، فَيَدُلُّ على أنَّ كلامَهُ مُحْدَثٌ وهو وهْمٌ، لِأنَّهُ لا يُريدُ لفظَ الحَديثِ عَلَى ما في قوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2]، وقد قالوا: إنَّ الحُدوثَ يَرجعُ إلى التِّلاوَةِ لا إلى المَتْلوِّ، وهو كالذِّكْرِ مع المَذكورِ إذا ذَكَرْنا أسْماءَ الرَّبِّ تَعالى[4].

القرآنُ والموعظةُ:

وصْـفُ الـقـرآن بالموعظةِ باعتبارِ مـا فـيـه مـنَ المواعظِ والحِكَمِ

ومن أوصاف القرآن الموعظةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس: 57]، وإنَّما يعني بذلك جلَّ ثناؤه: القرآنَ، وهو في الحَقيقَةِ مَوْعِظَةٌ من اللهِ، والآخِذُ جِبْريلُ، والمُسْتَملي مُحَمَّدٌ ﷺ، فكيف لا تَقَعُ به الموعظة؟[5] ووُصِفَ القرآن كذلك باعتبار ما فيه من المَواعظِ والحِكَم.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/395.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/248 - 249.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/248 - 249.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/261.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»